النزاع العربي ــ الاسرائيلي في كتب العلــوم الاجتماعيـــة للمدارس الثانوية في الولايــات المتحــدة

تظهر السجلات التاريخية ان الكتب المدرسية كانت قيد الاستعمال منذ وقت طويل . وثمة بعض الادلة التي تشير الى ان الكتب المدرسية كانت تستخدم في مدارس اليونـــان وروما القديمتـين (Encyclopedia of Education ، المجلد ٩ ، ص ٢١٤) . والكتب المدرسية هي اليوم اساس التعليم الرسمي في جميع مستويات المدرسة . ويشعر الدارس الجامعي ضائعا ومتحيرا عندما لا يستخدم الاستاذ كتابا او كتبا مدرسية متعددة . والحالة اكثر بروزا وخطورة في المدارس الثانوية والابتدائية ، حيث تؤلف الكتب المدرسية ، نظريا وعمليا في آن معا ، حجر البناء الاساسي للتعليم . وعند كلا المستويين يعتمد معظم المعلمين (امـــا بسبب عدم وجود التدريب او الاهتمام او الوقت) اعتمادا كبيرا ، ان لم يكن كليا ، على الكتب المدرسية . وليس المعلمـــون الذين يستخدمـــون قراءات اضافية ومكملة الا الاقلية . ويقدر الدكتور بروس جويس ، الرئيس السابق لتعليم معلمـــي المدارس الابتدائية في جامعة شيكاغو ، ان نحو ٨٠ بالمئة من معلمي الامة الابتدائيين يستخدمون الكتب المدرسية كأداتهم التعليمية ومصدر معرفتهم الرئيسيين . ويقول الدكتور جويس : « ان معلم المدرسة الابتدائية النموذجي مدعو لاتقان مجموعة مواضيع تمتد من ادب الاطفال الى القراءة ومن الحساب الى العلوم . وبما ان قلـــة من الناس يمكنها أن تصير خبيرة في حقول كثيرة كهذه ، فان معلم المدرسة الابتدائية النموذجي يعتمد اعتمادا كبيرا على النصوص والكتب الدليلة » . ويضيف ان المشكلة في المدرسة الثانوية هي اكبر من ذلك على الارجح . « لان معلم المدرسة الثانوية يعمل مع عدد من التلاميذ يصل الى ١٥٠ يوميا ، فانه يتعذر عليه ان يحضر مواد مفصلة تفصيلا خاصا لكل ولد او حتى لكل صف . وعليه ان يعتمد على الرزمة الجاهزة ، الكتاب المدرسي »(١).

والكتب المدرسية ــ خصوصا تلك التي لهـــا صلة بالانسانيات والعلوم الاجتماعية ــ هي المصدر الرئيسي الـــذي يكتسب منـــه الطالب المواقـــف والاعتقادات والمشاعر حول شعبه والاقوام العرقية والاجنبية الاخرى . وتعطي الكتب المدرسية الاولاد المعلومات التي يحتاجون اليها حول التاريخ البشري وثقافات العالم الذي فيـــه يعيشون . وتشـــير الدراسات في حقل علم النفس الاجتماعي المتصلة بعملية التنشئة الاجتماعية الى ان التعليم المكتسب في المدرسة الابتدائية والثانوية يميل الى ان يكون له تأثير مستديم . فالمواقف التي يتخذها البالغون ازاء جماعات معينة يمكن تعقبها ، بشكل جزئي ، الى ما تعلمه في المدرسة الابتدائية والثانوية . وستوضح الامثلة التالية ما نقصده . يتناول المثل الاول ادخال نظرية النشوء والارتقاء الى الكتب المدرسية الخاصة بالمدارس الثانوية ، وهو حدث ولد قدرا عظيما من الجـــدل بين الذين يدركون التأثير المستديـــم للتربية على عقول التلاميـــذ . فالخصوم يعترضون على الفكرة على اساس انها ستسمم عقول الاولاد وتجعلهم يشككون في جميع الاديان والمعتقدات التي تقدم خلق الانسان كعمل من اعمال الله ، والمؤيدون يدعون انها ستزيد التفكير العلمي بين التلاميذ فيغني ذلـــك بدوره المدنية المعاصرة المرتكزة على العلم . المثل الثاني ذو صلة بالجدل الذي حصل في كاليفورنيا عام ١٩٥٩ حول كتب العلوم الاجتماعية المدرسية . فان فريقا خاصا مكلفـــا بتقييم الكتب المدرسيـــة الجديدة ، من الصف الرابع الى الصف الثامن ، شجبها على اساس انها تمثل معاملة مشوهـــة لحياة الاقليات ، مما يمكن ان يفضي الى رفض طفل الاقلية لعين هويته كشخص مـــن الاقلية(٢). وفي الاونة الاخيرة رفعت الحركة النسوية صوتها عاليا في انتقاد الكتب المدرسية كمصدر رئيسي لتطوير صور نمطية سلبية عن النساء . وتدعي النساء ، بحق ، ان معظم الكتب المدرسية تنقل اعتقادا واضحا بأنه لا يوجد أمامهن غـــير اربع مهن ــ ممرضة ، سكرتيرة ، معلمة ، او ام . والاستنتاج الواضح الذي يمكن الوصول اليه من هذه الامثلة وغيرها هـــو ان الكتب المدرسية لها فعلا تأثير مستديم على عقول التلاميذ ، ولذا يجب على المربين ان يكونوا معنيين بكل من تصميم الكتاب المدرسي وانواع المواد التي يحتويها .